

## المقاربة النفسية في النقد الغربي المعاصر من سلطة السياق إلى سلطة النسق

### The Psychological Approach in Contemporary Western Criticism: From the Authority of Context to the Authority of System

د. بلال محي الدين \*

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة (الجزائر)

belal.mahiddine@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/25 تاريخ القبول: 2025/01/30 تاريخ النشر: 2025/01/31

#### Abstract:

Studies that approach creative works from its psychological perspective have been the interest of many critics because of the intrinsic nature of literature, which can only be fully understood by interpreting it through the psychological dimensions of the creator. To achieve this, it is essential to trace the concepts and the procedural mechanisms developed by critics within the psychological framework to reveal the hidden layers of literature. The approach proposed by Claude Lévi-Strauss, Jacques Lacan, and Jean Bellemin-Noël is one of influential contributions that shifted the focus of the psychological study of literature from exploring the author's unconsciousness to examining the psychological structure of the text itself. Hence, the present study addresses these questions: What are the most significant aspects of these perspectives? How did they reread the text from the inside and relate it to unconscious worlds?

**Keywords:** Lévi-Strauss; Unconscious structures, Jacques Lacan; Psychological structure; Jean Bellemin-Noël; Text's unconsciousness.

#### ملخص البحث:

شكلت الدراسات التي أسست لمقاربة الأعمال الإبداعية انطلاقاً من جانبها النفسي محور اهتمام كثير من النقاد، وذلك لقربها من طبيعة الأدب التي لا يمكن معرفتها إلا بالرجوع إلى تفسيرها من خلال عوالم المبدع النفسية، ولا يتأتى ذلك إلا بتتبع مسيرة ما أنجز هؤلاء النقاد من مفاهيم وآليات إجرائية على مستوى المنهج النفسي لفتح عتمة الأدب من خلالها، وتعد المقاربة التي قدمها النقاد الثلاثة كلود ليفي شتراوس، جاك لاكان، جان بيلمان نويل من المقاربات التي حولت مسار الدراسة النفسية للأدب التي اهتمت بلاوعي المؤلف إلى البحث في بنية النص النفسية.

ومنه؛ سيبدو وجهاً أن تتمحور هذه المسألة حول الإشكال التالي: ما هي أبرز هذه الرؤى؟ وكيف أعادت قراءة النص من الداخل وفتحه على العوالم اللاشعورية؟

#### الكلمات المفتاحية:

ليفى شتراوس؛ البنيات اللاشعورية؛ جاك لاكان؛ البنية النفسية؛ جان بيلمان نويل؛ لاوعي النص.

## مقدمة:

مهدت اللسانيات السوسيرية و الشكلائية الروسية للمنهج البنيوي في ستينات القرن الماضي، فالمقولات النظرية التي أرساها سوسير في كتابه دروس في اللسانيات العامة، إضافة إلى المنجز النقدي الشكلائي في مجال طرائق التحليل السردي والشعري، كان لهما بليغ الأثر في المقاربة البنيوية النفسية على مستوى الإبداع الأدبي، وتعتبر الدراسات التي قدمها كل من كلود ليفي شتراوس وجاك لاكان وجان بيلمان نويل من الدراسات التي تجاوزت استنطاق الإبداعات الأدبية من الداخل، لتمارس آلياتها على النصوص الإبداعية انطلاقاً من لاوعي النص، ويمكن بسط هذه الآراء في:

**1- بنيوية شتراوس الأنثروبولوجية: من البنية النصية إلى البنيات اللاشعورية:**

الأنثروبولوجيا البنيوية دراسة ظهرت للإجابة عن سؤال لماذا كانت الحياة الاجتماعية على الصورة التي هي عليها؟ ولقد أجابت الأنثروبولوجيا البنيوية: إن هذه الصورة هي نتيجة ضرورية للتركيب اللاشعوري للإنسان كما أنها تعبير عن هذا التركيب اللاشعوري<sup>1</sup>. ولا شك أن الإجابة التي تستند إلى التركيب اللاشعوري للإنسان تفترض تفسيراً للظواهر لا يعتمد على الجانب المرئي منها وإنما يعتمد على تركيب الجانب المدروس.

إن البنية عند شتراوس ليست معطاة في الواقع الملاحظ، ولكنها دائماً نتاج ثلاثة عناصر على الأقل، وهذه الطبيعة الثلاثية هي التي تعطيها ديناميتها... إن في أعمال شتراوس الكاملة هناك تأرجح وازدواجية بين ذلك النوع من البنيوية الذي ينظر إلى البنية على أنها نموذج مجرد مستخلص من تحليل الظواهر تعتبر نظاماً ساكناً من الاختلافات- أي إن البعد التزامني هو المفضل- وبين فكرة البنية باعتبارها في الأساس ثلاثية وتحتوي علة جانب دينامي متأصل. أما العنصر الثالث في البنية الثلاثية فيظل دائماً فارغاً وعلى استعداد لاتخاذ أي معنى مهما كان، هذا هو عنصر التتابع الزمني في فترة معينة، أي إنه عنصر التاريخ والعرضية (إمكانية حدوث شيء طارئ) وهو الجانب الذي يفسر دوام الظواهر الاجتماعية والثقافية<sup>2</sup>.

تنصب الدراسة في إطار البنيوية الأنثروبولوجية على الدراسة الحالة للموضوع، وأن الموضوع يحتوي على معقولية ذاتية ومستقلة «وهو في هذه الحالة أيضاً إنما يعرض كنسق أي ككل، حيث تكون الأجزاء مترابطة فيما بينها، وتكون الألفاظ معرفة بعلاقاتها بحيث أن تغيير أي عنصر من العناصر يستتبع تغييراً في العناصر الأخرى. وفي هذه الحالة فإن تحليل هذا النسق يعطينا تفسيراً لأسلوب قيامه بوظيفته عندما نكتشف الأنموذج الذي يتبعه هذا النسق، وعندما يدخل هذا الأنموذج ضمن مجموعة أكثر اتساعاً، تكون معرفة بالقانون الذي يسمح بالانتقال من أنموذج إلى آخر، عندئذ نصل إلى بناء هذا الموضوع»<sup>3</sup>.

**1-1- المنطلقات التأسيسية لبنيوية شتراوس الأنثروبولوجية:****أ: المهاد اللساني:**

مهد شتراوس لبنيويته الأنثروبولوجية من خلال معينين أساسيين يتجسد الأول في لسانيات سوسير، والثاني في بنيوية جاكبسون «فأخذ ينظر إلى دراسة سوسير للغة بوصفها نسقاً مستقلاً بذاته، نسقاً يقوم على التسليم بعلاقة فاعلة تصل مكونات العلامة اللغوية، أي تصل بين نسق اللغة الكلام الفردي من ناحية، وبين الصورة الصوتية (الدال) والمفهوم (المدلول) من ناحية ثانية. ولقد وصل ليفي شتراوس بين هذه الثنائية الأساسية ونموذج

التحليل الفونيمي عند ياكبسون، ذلك النموذج الذي يحاول به علم اللغة البنيوي إثبات أن بنية أي لغة تتبع- دائما- سبيلا ثنائيا من التراكيب المتوازية»<sup>4</sup>

ولبيان منطوق هذه التقابلات الثنائية فإنه «قام بتطبيق النموذج اللغوي على الدراسات الأنثروبولوجية، وبذلك لم يقتصر مفهوم البنية إلى الوقائع اللغوية على إحداث ثورة في الدراسات اللسانية، بل امتدت هذه الثورة إلى مجال الوقائع الاجتماعية بشكل عام والوقائع الأنثروبولوجية بوجه خاص»<sup>5</sup>. إن ما سعى إليه هو تجاوز المفهوم السوسيوي للبنية بل يرى أن في هذه التسمية صيغة تكرارية جوفاء إذ ليس في وسع الأنثروبولوجيا أن تكون بنيوية إذا شاءت لنفسها أن تكون إلا حبيسة المعرفة التجريبية القائمة على أساس التفسير السببي، ولكن يتم تفسيرها تفسيراً بنيوياً قائماً على أساس النظام أو النسق، وحين يتحدث "ليفي شتراوس" عن النظام أو النسق فإنه لا يتحدث عن صورة مجانسة للواقع بل يتحدث عن نموذج نظري منطقي، ومعنى ذلك فإن البنية ليست محتواة في الموضوع، بل هي كامنة داخل النسق العقلي الذي يرمي إلى إدخال الكثرة التجريبية تحت نظام أو نسق، صحيح أن البنية - بهذا المعنى - تمثل جانبا من الواقع، ولكنه ليس الواقع التجريبي الذي تمدنا به الملاحظة السطحية البحتة، بل هو ذلك الواقع العلمي الذي لا بد من الكشف عنه وراء المعطيات المباشرة»<sup>6</sup>.

وقد لقي شتراوس فيما انتهى إليه ياكبسون في علم اللغة البنيوي نوعاً من الكشف الملم، متخذاً من علم الأصوات الوظيفي سنداً له في تحليلاته البنيوية حول الأسطورة ونظم القرابة «ولقد أظهرت دراسة ياكبسون نوعين رئيسيين من الاضطراب اللغوي (اضطراب المشابهة) و(اضطراب المجاورة) يتكشfan عن صلة لافتة بالصور البلاغية للاستعارة والكناية. أما الاستعارة التي تعتمد على مشابهة مفترضة بين موضوع حرفي وبديل مستعار له فهي "ترابطية" في طبيعتها، وتستغل العلاقات الرأسية في اللغة. أما الكناية التي تعتمد على مجاورة مفترضة بين الموضوعات، أو على ترابط تنابعي فتستغل العلاقة الأفقية في اللغة»<sup>7</sup>. إن شتراوس بأفكاره أراد أن يحدث ثورة تتجاوز علم اللغة إلى الأنثروبولوجيا ولخص أهمية ذلك بقوله:

«أولاً: يتحول علم اللغة البنيوي عن دراسة ظواهر لغوية واعية إلى دراسة بنيوية تحتية اللاواعية.

ثانياً: لن يتعامل علم اللغة مع المسميات أو الكلمات بوصفها كيانات مستقلة بل يتعامل معها على أساس العلاقات التي تنظمها.

ثالثاً: يطرح علم اللغة مفهوم النسق فلا يزعم علم الفونيمات الحديث أن الفونيمات جانب من النسق فحسب، بل يظهر الأنساق الصوتية نفسها على نحو ملموس واضح البنية. وأخيراً: يهدف علم اللغة البنيوي إلى الكشف عن قوانين كلية سواء كان ذلك بالاستنباط أو الاستدلال، مما يعطي هذه القوانين صفة مطلقة»<sup>8</sup>.

### 2-1- البناءات اللاشعورية:

تعتبر نظرية البناءات اللاشعورية التي مهد لها مارسيل موس منطلقاً تأسيسياً لأنثروبولوجية شتراوس، فقد كتب عنه في مقدمته لكتاب "علم الاجتماع والأنثروبولوجيا" يقول: «يبدو أن موس في "مقال عن الهبة" كان على يقين أن التبادل échange هو القاسم المشترك في عدد كبير من النشاطات الاجتماعية التي تبدو غير متجانسة فيما بينها غير أنه لم ير هذا التبادل ضمن الظواهر في الواقع فالملاحظة الأميركية لا تمدّه بالتبادل وإنما فقط بالتزامات ثلاثة: عطاء وأخذ وredonner-recevoir»<sup>9</sup>. إن المقصود بالتبادل هنا بناء يصدر

مباشرة عن الوظيفة الرمزية ومن هنا يتبين أن «المقايضة تعطي مثالا للبناء باعتباره مبدأ الظاهرة ومبدأ مفسر لها في نفس الوقت، ونحن هنا لا تصل فقط بالموضوع وإنما نتعمق فيه أيضا فتعرف أن المقايضة كانت دائما هي المبدأ المنظم لاستخدام الآلات والمواد الغذائية والأشياء المصنوعة، وصور السحر والرقص والعناصر الأسطورية تماما كما كانت اللغة هي المبدأ المنظم لاستخدام الصوتيات والمفردات والتركيبات اللغوية»<sup>10</sup>.

إن تركيز كلود ليفي شتراوس في بنيويته الأنثروبولوجية على فكرة الأبنية اللاشعورية في تفسير ثقافة المجتمعات البدائية والمتحضرة جعل الباحثين يماثلون بينه وبين ما قدمه فرويد في تحليله النفسي القائم على فكرة اللاشعور، إلا أن الباحث في فكر العلمين يلخص أهم نقاط الاختلاف بينهما في<sup>11</sup>:

✓ اللاشعور عند شتراوس هو مقولة الفكر الجمعي أما عند أصحاب التحليل النفسي فهو مضمون فردي أو جمعي.

✓ للاشعور الجمعي عند يونغ مليء برموز وأشياء رمزية هي منه بمثابة القوام، أما وظيفة اللاشعور عند شتراوس فهي رد الأشياء إلى طبيعتها أي إلى النسق الرمزي الذي لولاه لما كان الاتصال بين هذه الأشياء مفهوما. فالنسق الرمزي هو الذي يفسر معقولية هذه الأشياء.

✓ نقطة الضعف في مفهوم يونغ هو محاولة تفسير النماذج الأسطورية دون النظر إلى السياق الذي يحتويها، بينما عند شتراوس فإن التفسير يكون بالتمايز؛ أي بتمييز الظاهرة بعلاقاتها بظواهر أخرى داخل النسق.

## 2- البنية النفسية للنص (جاك لاكان):

تمثل الآراء الجديدة التي أرساها جاك لاكان في ميدان النقد الأدبي، بداية في وضع أسس علمية أعادت قراءة منجز التحليل النفسي الفرويدي انطلاقا من النقد البنيوي فماهي الأصول الفكرية التي استند إليها؟ وكيف أعاد لاكان قراءة فرويد؟ وما هي الأسس التي انبنت عليها بنية النص النفسية؟

### 2-1- بنية النص النفسية عند لاكان: الأصول الفكرية والمنطلقات التأسيسية

أ- مرجعية فلسفية: إن التوليفة المبكرة التي مزج فيها لاكان بين التقنيات الفرويدية الكلاسيكية وأسلوبه الخاص في التفاعل مع الجمهور من خلال السيمينار الذي كان يعقده إنما هي توليفة يمكن تفسيرها بوصفها انعطاف فرويدي تستفيد إلى جانب علم اللغة من معين الفلسفة «فقد واصل لاكان التقاليد البلاغية، وتواصل مع العناصر الوجودية لمفاهيم الودود والعدم عند سارتر ومفهوم التوسط بين الفرد والعالم المحيط به، وأفاد من فكرة الموقف الوجودي التي سادت فلسفة سارتر الذائفة في ذلك الوقت، ووصل لاكان بين ذلك والمفهوم الذي يسلم بما ينطوي عليه عقدة أوديب من طابع كلي؟ على نحو ذهب معه لاكان إلى أنه يطرح عناصر راديكالية تسهم في فلسفة الظاهر الفرنسية»<sup>12</sup>.

استفاد لاكان أيضا من فلسفة هيغل في نظريته عن المرأة رافضا للتقاليد الديكارتية كلها ابتداء من (مين maine)، وانتهاء (بهوسرل husserl)، وذلك «لما تقوم عليه هذه النظرية من تسليم بأن الذات ليس نتيجة إدراك خالص بل نتيجة حاجات الجسد بوصفها توسطا، يضاف إلى ذلك أن لاكان مزج بين علاقات التوسط في علم اللغة البنيوي والديالكتيك في الهيكلية الجديدة، على نحو جعل من التحليل النفسي عنده جانبا من التاريخ

الاجتماعي، وحول التداعي الحر إلى أداة منهجية تكشف عن كل من الأصول الثقافية والفردية، بل على نحو أصبح فيه الآخر في فلسفة هيجل يشير إلى كل آخر عند لاكان بالقدر الذي يشير به إلى العلاقة بين المحلل والمحلل النفسي»<sup>13</sup>. إن المواقف الراديكالية التي أبداهها لاكان في فلسفته جعلت من الماركسيين يربطون بين أفكاره والثورة، إن كتاباته واكبت المناظرات الباريسية حول الكتابات المبكرة حول ماركس «ولا شك أن الإلحاح على فرويد الشاب لم يكن غريبا على هذا المناخ بل لم يكن إلحاحا ناجما عن المصادفة، ذلك لأن الفلاسفة الشبان الذين كانوا يركزون على ماركس الشاب منذ أواخر العشرينيات أيا كانت درجة التركيز وحدته، كانوا من معاصري لاكان، وبقدر ما كان لوفيفير يسعى إلى تأكيد أهمية ماركس الشاب كان لاكان يسعى إلى تأكيد أهمية فرويد الشاب»<sup>14</sup>.

ب- مرجعية لسانية: استفاد لاكان من الإرث اللساني السويسري؛ حيث نظر إلى اللغة «من حيث هي شكل كلي، ومن حيث هي نسق قائم بذاته، له وحدته المتكاملة وبعده التاريخي الآني»<sup>15</sup>. وهي بذلك تضيف بالنسبة له فهما لفرويد «فإذا كان ما اكتشفه فرويد وأعاد اكتشافه بإحساس متزايد دوما بالصدمة، إذا كان لهذا من معنى فليس هذا المعنى سوى أن استبدال الدال (أو انتقال البؤرة الذي يغير المعنى) هو الذي يحدد الذوات في أفعالها، وفي قدرها، وفي رفضها، وفي عماها، وفي غايتها ومصيرها، بكل المواهب المتأصلة في هذه الذوات ومكتسباتها الاجتماعية في الوقت نفسه. ومع ذلك - بغض النظر عن الشخصية أو الجنس - فإن كل ما يصلح لأن يكون مادة لعلم النفس أو عدة أو جماعا له لا بد أن يتبع طريق الدوال، سواء شئنا ذلك أم أبينا»<sup>16</sup>. وبعبارة أبسط فإن لاكان يتصور الفعاليات اللغوية وحدها هي التي تساعدنا على إدراك العلاقات المتغيرة بتعقيدها، كما يتصور أن لغة اللاوعي بنية مستقلة وهي لغة غير عقلية بالمعنى الفرويدي، وتتضمن كل العلاقات اللغوية لعلم اللغة.

إن الثنائيات التي أرساها سويسر خاصة ثنائية الدال والمدلول قادت لاكان «إلى القول في أوائل الستينيات بأن الذات هي ذات الدال، لأن الدال يكون دائما منفصلا عن المدلول (كما في لوغاريتمات سويسر) وله استقلالية واقعية، إذ ما من دال قط يستند في النهاية إلى مدلول، إن عالم الدال هو عالم النظام الرمزي نظام العلامات والرموز والمعاني والتمثيلات والصور من كل الأنواع، في هذا النظام يتشكل الفرد كذات»<sup>17</sup>. وإلى جانب استفادة لاكان من اللسانيات السويسرية، استفاد أيضا من ربطه بين مفاهيم لفرويد وياكوبسون في إطار مقارنته لبنية النص النفسية، حيث «ربط بين مفهومي فرويد المتعلقين بالتكثيف والإزاحة بمفهومي ياكوبسون في الاستعارة والكناية، واستنادا إلى ذلك تعرف الاستعارة بأنها استبدال كلمة بأخرى، بينما تعرف الكناية بأنها ارتباط كلمة بكلمة (التقارب والمحاذاة)»<sup>18</sup>. وانطلاقا من ذلك يربط لاكان بين حضور اللاوعي في اللغة وبين الآثار التي تولدها الاستعارة والكناية، بقدر ما يربط فرويد في تفسير الأحلام بين الدليل على اللاوعي في الحلم وبين التكثيف والإزاحة.

### 2-2-لاكان ومرحلة المرأة:ثلاثية الخيالي والواقعي والرمزي:

تعود جذور مفهوم الخيالي عند لاكان إلى مرحلة المرأة حيث تشكل عقدة برومينية ثلاثية العناصر ينعقد في أطرافها الثلاثة الخيالي والواقعي والرمزي؛ إذ يقيم تصويره للخيالي على أساس من الأنا العاكسة في مرحلة المرأة، ليذهب إلى أن الخيالي يتضمن علاقة نرجسية بالذات، رغم أنه لا يوجد إلا في علاقة ثنائية بالآخر، وعلى نحو ينبثق فيه الخيالي بواسطة شكل بعينه، ليغدو مكونا من مكونات الوهم يقع في مستوى العلاقات الواقعية

والمختيلة»<sup>19</sup>. وإذا ما فسرنا مفهوم مرحلة المرأة، فإنها مرحلة تقع من عمر الإنسان بين الشهر السادس والثمن عشر، وهي فترة يتمتع فيها الطفل بالقدرة للمرة الأولى على أن يتخيل نفسه كيانا مترابطاً يهيمن على نفسه ويبدو «أن هذه الفرضية المهمة عن صورة الطفل المرآوية التي يراها في مرحلة الطفولة، لا تزال غارقة في ضعف جهازه الحركي والاعتماد على من يرعاه، وتعرض بصورة نموذجية المنشأ الرمزي الذي يتسبب فيه ضمير المتكلم في شكل بدائي، قبل أن يتشياً في جدل التماهي مع الآخر، وقبل أن تعيد إليه اللغة عموماً، وظيفته كذات»<sup>20</sup>.

وهذه العملية تنتج علاقة جدلية مغايرة انطلاقاً من التحول في الموقف التحليلي فالصلة بين المحلل النفسي والشخص المريض تستثير الجانب الخيالي لدى المحلل النفسي «وهذه الصلة تتوسط ما بين دال الوهم (محتوى الفكر) والأفكار اللاحقة، بحيث تستثير كل لحظة من هذه العملية الجدلية انفعالات تفرض مطالب ارتدادية تتوجه إلى المحلل النفسي ومع ذلك فهذه المطالب نفسها هي استجابات من الشخص [المريض] إلى دلالات (إشارات) تصدر من المحلل النفسي الذي يقدم التحليل، أقصد استجابات شبيهة بالتحول المضاد، وتعكس إدراكات الشخص [المريض]، ويسمي لكان هذا التفاعل بين الطرفين... باسم مفارقة الرغبة في عملية التحليل النفسي والتي تنتج عن سوء الفهم بين الطرفين»<sup>21</sup>.

ويرى لكان أنه إذا أردنا تجاوز عقبة الفهم الناتجة عن الحوار بين المحلل النفسي والشخص المريض «التمييز بين الأنظمة الرمزية والخيالية، ولا سبيل إلى تجاوز هذه المشكلة عنده إلا بأن يضع المحلل النفسي [حالته] موضع الشخص [المريض]، أو يطلب المحلل النفسي من الشخص الذي يحلله أن يقوم هو بتحليله أو يسقط نفسه عليه في عملية يتحول فيها مفعول التحليل إلى فاعل له»<sup>22</sup>.

إن الاهتمام الذي أولاه لكان بمستويات اللغة أثناء عملية التحليل كشف من خلاله أن «الأعراض تتحول إلى دوال، وتتضام المشاعر في شبكات للمعنى، وإن لم تتطابق مع معانيها (الواعية في الغالب)، أما المعنى فينظم بطريقة ثنائية»<sup>23</sup>.

تؤكد مكانة اللغة الرمزية بوصفها أداة مميزة للنشاط الإنساني، هذا ما دعم مرتكزات لكان حول مفهوم الخيالي، هذا المفهوم «الذي يبدأ [عنده] من مرحلة المرأة، عندما يدخل الطفل النظام الرمزي الذي تنتظمه اللغة وتصل اللغة المنطوقة بوجه خاص بين الطفل والعالم الواقعي بواسطة الخطاب نفسه يتضمن الوهم وربما اللاوعي، ويطلقاً لكان على هذه اللغة اسم لغة الهو، ويرأها بمثابة (الكا) التي تتكلم عن شخص آخر وتنشأ عن شخص آخر، فلا تفهم إلا عن طريق التوسطات البنائية التي تنطوي عليها العلاقات والأبنية اللغوية»<sup>24</sup>.

### 2-3- أسس البنية النفسية للنص عند جاك لكان:

شكلت الآراء التي قدمها لكان في قراءته للمشروع النقدي الفرويدي نظرية علمية مستقلة، قوامها أنه استناداً إلى البنيوية يمكن أن نصف اللاشعور بطريقة علمية ونفهم قوانينه، وهذا الفهم انبنى على أسس تعود برمتها إلى بنية العمل الإنساني الأول وهو الكلام، ويمكن تلخيصها فيما يلي:<sup>25</sup>

ينتظم كلام اللاشعور في بنية متماسكة على أنه لغة، فاللاشعور هو كلام الآخر على أن نفهم الآخر بأنه ليس هو الشخص الآخر فحسب، بل تنظيم اللغة بشكل تعبر فيه عن فاعل الثقافة الجماعية واللاشعور معا، وبهذا يوضح لكان عنصرين مهمين بالنسبة للتفسير النفسي للحياة الإنسانية: أولهما أن لغة اللاشعور يعترف بها كلغة، والآخر أن وجود الآخرين يقع داخل هذه الشبكة اللغوية نفسها.

بنية الشخصية في نظره عبارة عن مجموعة من المستويات اللغوية، وتصبح مهمة التحليل النفسي هنا ليس هذا الحلم في ذاته وإنما هو مادته المحكية، وهي أمر مختلف عنه. تعتبر المادة المحكية أهم وثيقة من وجهة النظر التحليلية وهي بطبيعتها مرتبطة بالبنية اللغوية المتعددة المستويات، فكل فرد يخضع للتحليل النفسي يزود محلله بهذه الوثيقة وتفسيرها معاً، ويعد التفسير بدوره وثيقة، ومهمة المحلل عندئذ إنما هي اتخاذ موقف تكميلي كان فرويد يصفه بأنه تركيبي. أن المادة التي يعتمدها المحلل النفسي هي مادة لغوية، وهنا لا نندهش بما كان يفعله فرويد من تخصيص وقت طويل لدراسة وتحليل التدايعات اللغوية واللعب بالألفاظ وخطأ اللسان وما عدا ذلك، إذ إن التحليل اللغوي هو المنهج الملائم لدراسة اللاشعور.

انطلاقاً من هذه الأسس تسعى بنية لكان النفسية إلى اكتشاف العلاقات القائمة بين المحتوى الكامن والظاهر من الحلم والكشف عن الجوانب المحذوفة والوقفات والهواجس التي ينطوي عليها الشخص المحلل نفسياً. إن الأفكار اللاواعية للحلم وتدايعاتها الحرة تعالج بطريقة بنية «على نحو تغدو فيه كل هذه الأمور جزءاً من أجزاء اللغة، أي تغدو تكتيفات دلالية للخطاب تؤدي دورها بوصفها استبدالات نحوية، وتغدو عمليات اللاوعي من مثل التشويه، والتشكل المضاد، والإنكار، واعتبار المسؤولية، بمثابة وسائل تعبيرية تماثل الاستعارة والكنية (اللتين لا توجدان غلاً في "سلاسل المعنى") ولذلك تبدو آليات الدفاع أحياناً موازية للوسائل الأدبية، ويبدو اللاوعي المتكشف في الأحلام شبيهاً باللاوعي الذي يتحدث عنه علم النفس المرضي في الحياة اليومية»<sup>26</sup>.

### 3- القارئ ولاوعي النص (جان بيلمان نويل)

#### 1-3- الأدب وعلم النفس:

تعود جذور المقاربات النفسية للخطاب الأدبي إلى التفكير النقدي الغربي القديم متجسدة في ما قدمه أفلاطون في دراساته عن أثر الشعر على العواطف الإنسانية، ما جعله يطرد الشعراء من مدينته الفاضلة، كما كان لنظرية التطهير التي أتى بها أرسطو الفضل في ربط الأعمال الإبداعية بوظائفها النفسية من خلال استثارة عاطفتي الخوف والشفقة.. ولقد عرفت هذه المقاربات تطوراً في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبدأ مدار الاشتغال على التحليل النفسي وفق أسس علمية مع رائده سيغموند فرويد، والذي رأى أن النتاجات الأدبية تجليات لمكبوتات النفس الإنسانية، لذلك فالفن والأدب ما هو إلا تعبير عن اللاشعور الفردي وإشباع لرغبات أساسية، وظهرت أفكار كارل يونغ الذي ينقل مجال الاهتمام الفرويدي من اللاشعور الفردي إلى اللاشعور الجمعي فالتجربة الفردية لا يمكن نعتبها أساساً في كشف مكنونات النفس الإنسانية إذا لم تستوعب التجربة الاجتماعية.

وتطورت المقاربات النفسية للأدب مع إدلر والتي قرن فيها بين الأحلام والرموز، رافضاً بذلك فكرة الدافع الغريزي للإبداع التي أسس لها فرويد. وبلورت مدرسة الجشتالت رؤية جديدة في هذا المجال تأسست على الكيفية التي تُبنى من خلالها الأعمال الفنية، والآثار الكلية التي تتركها في إدراك متلقي العمل الأدبي. ومن المقاربات التي وجهت مجال اهتمامها نحو مجموع الأعمال الأدبية لكاتب ما، مقارنة شارل مورون الذي يعتبر أول من أطلق مصطلح النقد النفسي وتتمثل هذه المقاربة في البحث عن الأسطورة الشخصية للكاتب وذلك من خلال لاوعي

الكاتب في أعماله الفنية. وبظهور البنيوية في فرنسا وسعيها إلى مقارنة النص من الداخل، قدم جاك لاكان منهجه الجديد الذي ربط فيه بين اللاوعي واللغة حيث تغدو الأفكار اللاواعية جزءاً من أجزاء هذه اللغة.

### 2-3- جان بيلمان نويل ولاوعي النص:

ينحو النقد النفسي عند جان بيلمان نويل منحى نصانياً، باحثاً من خلاله على ما تتمتع به الأعمال الإبداعية من استقلالية تستنطق سيرة حياة المؤلف وأسطورته الشخصية وهو قريب من منجز لاكان النقدي في هذا المجال، إلا أنه يتجاوزه مع بداية ثمانينيات القرن الماضي منفتحاً بذلك على التصورات التداولية ولسانيات التلفظ وإدماج عناصرها ومكتسباتها داخل مشروعه النقدي، لينتهي إلى اقتراح مقارنة نفسانية تريد أن تكون جديدة مغايرة جذرياً للمقاربات النفسانية التقليدية مركزة على التحليل الذي يختار النص الأدبي لا مؤلفه موضوعاً للتحليل.<sup>27</sup>

أعاد نويل قراءة فرويد من جديد فاحصاً العلاقة بين التحليل النفسي والأدب، وانتهى إلى اقتراح التحليل النصي بديلاً عن الاهتمام بالمؤلف والتركيز على عمله الأدبي «مستهدفاً إنشاء مقارنة نفسانية للنصوص الأدبية تنطلق من أن لكل نص لاوعيه، بمعنى أن النص الأدبي يكون معمولاً بواسطة خطاب لاواع، وأنه من الممكن وصف هذا العمل الذي يتحقق داخل النص، وخاصة إذا انتقلنا من التحليل البيوغرافي إلى التحليل النصي»<sup>28</sup>. وبعبارة أخرى فإن الأمر لا يتعلق بلاوعي مستقل، بل بالإنزياح الذي يقع بين ما يريد الكاتب قوله وما انتهت الكتابة إلى أن تجعله يقوله.

أثار نويل أسئلة كثيرة منها لماذا يكون الإنسان موجود داخل النص؟ ألا يمكن للنص أن يشرح نفسه بنفسه؟ وللإجابة عليها وضع فرضيات منها:<sup>29</sup>

- ◀ أن النص هو هذا الشيء الذي بواسطته يكمن اختلاف الإنسان، وهذا الاختلاف يكون هنا بالذات بلا نهاية.
- ◀ أن النص لا يكون مقروء إلا داخل فضاء النصية، ويعني ذلك أنه يكون خارج الواقع، وخارج السببية (لا يملك التخيل مصدراً آخر غير أن يبادر إلى اختلاق أو استرجاع تخیيلات كانت دوماً موجودة من قبل)، وخارج الشرعية (فالكاتب ليس لها معنى واحد، وما يقصده المؤلف لا يتمتع بأي امتياز)، وخارج مملكة التبادل والمردودية والتواصل.

إن المبدأ الذي بنى عليه نويل رؤيته من خلال لاوعي النص يتجسد في أن «النص الأدبي، أو العمل الفني هو هذا الشيء الذي لا يكون مطابقاً، وإذا جعلناه مطابقاً للذات أو للعالم أو للوجود فإن ذلك سيعني أننا اخترنا أنجع الوسائل التي تقود إلى تدميره وتحطيم مفهومه»<sup>30</sup>. ويرى أنه من أجل بناء مستقبل لأبحاث المقاربة النفسية للأدب، علينا «أن نقرأ النص الأدبي بواسطة التحليل النفسي الفرويدي بالأساس، ولكن بعيداً عن المؤلف، فمؤلف النص الأدبي ينبغي له أن يوضع خارج اللعبة»<sup>31</sup>. إن ديدن الناقد النفسي هنا هو تجاوز النقد النفسي البيوغرافي، وعدم الرجوع إلى لاوعي أعمال كاملة كما في النقد النفسي عند شارل مورون، ولم يكن أمام هذا الناقد سوى التقدم بهذا الافتراض وهو لاوعي النص، واما ما يستهدفه هو البحث عن الدلالة اللاواعية في النص الأدبي من خلال سياجه الداخلي، ولا أن تحيل على مرجعية خارجية.<sup>32</sup>

### 3-3-آليات الوصول إلى لاوعي النص عند جان بيلمان نويل:

إن القارئ لمداخل النقد النفسي عند نويل يرى أنه يلج على ضرورة «إهمال الدور الرئيسي الذي كان يقوم به المؤلف في كل دراسة نقدية نفسانية، وبيوغرافية، فقد وجد في نفسه نفورا من تلك التعليقات، والأخبار والصور التي كانت ترسم للكتاب قبل الدخول إلى دراسة أعمالهم، ولذلك فهو لا يرى مانعا من اتخاذ موقف يلغي عند قراءة العمل الأدبي وجود الكاتب، فما أقرأه هو شيء يخصني مادمت أشتغل على الكلمات والجمل والصفحات والأجزاء»<sup>33</sup>.

أهم نويل في نقده النفسي الذات الكاتبة كمرجعية لفهم النصوص الإبداعية، وإشراك القارئ لتصبح العلاقة بين النص والقارئ علاقة فاعلة وإيجابية ويوضح نويل أيضا في كتابه أن تقرأ بكل لاوعيك «بأن التركيز على المنتج؛ أي النص قد كان أولا بغرض الاستغناء عن هذا المبدع الذي ليس إلا صورة وفيه لما يسمى بالخالق الأكبر، وكان ثانيا بغرض الاستجابة لحاجة واقعية، فما أحوجنا في النقد الأدبي، والنفساني خاصة إلى دراسة للنصوص في حد ذاتها»<sup>34</sup>. يصل نويل إلى وضع مفاهيم تضيء استخدام اللاوعي أثناء قراءة النصوص منها:<sup>35</sup>

«التحويل الذاتي: وهو مفهوم متداول بين المحللين النفسيين الممارسين فالتحويل الوجداني بين المحلل والمريض هو الآلية الأساس التي تسمح ببقاء بين لاوعي الأول ولاوعي الثاني، والفرضية التي يقترحها جان بيلمان نويل هي أن العمل الأدبي من زاوية اللاوعي، يتقدم كانه نقطة لقاء بين تحويلين ذاتيين متميزين: أحدهما المؤلف، والآخر المتلقي، لكن المحلل النصي الوفي لمبادئه المنهجية الأساس يوضح أن الشيء الأدبي لا قيمة له في غياب أحد ما يتأمله ويستمتع إليه ويقراه، فالقارئ هو الذي يبرر وجوده، وهو بلاوعي قارئ مستنير يحسن الإنصات إلى الاهتزازات التي تثار في أعماقه عندما يحتك بنص من النصوص.

### خاتمة:

ختاما لما سبق ذكره حول أهم الأفكار التي بنى عليها النقاد الثلاثة السالف ذكرهم تصوراتهم نستشف أنهم قدموا آليات جديدة في مقاربة الأنظمة الثقافية استقوها من الإرث السوسيوي وما قدمه ياكبسون في دراساته البنيوية على الخطاب الشعري ولا يخفى على الباحث أن هناك رؤى متقاربة بينهم في مجال فتح النص على السياق النفسي. ويتجلى مكن الاختلاف بينهم وبين فرويد في مجال التحليل النفسي إهمال الذات الكاتبة كمرجعية في معرفة خبايا النص. والاهتمام بالنص على أنه بنية لغوية لاشعورية يمكن استنطاقها من خلال مجموعة من العلائق الدينامية التي لا تعرف معناها إلا في نفسها.

### الهوامش والإحالات:

<sup>1</sup> - عبد الوهاب جعفر، (1980)، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، ص 37.

<sup>2</sup> - جون ليتشه، (2008)، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ص 158.

<sup>3</sup> - عبد الوهاب جعفر، المرجع السابق، ص 38.

<sup>4</sup> - إديث كيرزويل، (1993)، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، ص 38.

- <sup>5</sup> - محمد مهران رشوان، (1984)، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص 140.
- <sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 141.
- <sup>7</sup> - عبد الوهاب جعفر، المرجع السابق، ص 39.
- <sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 40.
- <sup>9</sup> - عبد الوهاب جعفر، المرجع السابق، ص 44.
- 10- المرجع نفسه، ص 45.
- 11- المرجع نفسه، ص 71.
- 12- إديث كيزويل، مرجع سابق، ص 215.
- 13- المرجع نفسه، ص 215.
- 14- المرجع نفسه، ص 216.
- 15- المرجع نفسه، ص 225.
- 16- المرجع نفسه، ص 227.
- 17- جون ليتشه، مرجع سابق، ص 150.
- 18- المرجع نفسه، ص 150.
- 19- المرجع نفسه، ص 225.
- 20- مالكولم بوي، فرويد وبروست ولاكان، (2009)، قصة نظرية، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، ص 139.
- 21- إديث كيزويل، مرجع سابق، ص 225.
- 22- المرجع نفسه، ص 226.
- 23- المرجع السابق، ص 228.
- 24- المرجع نفسه، ص ص 228-229.
- 25- صلاح فضل، (1998)، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، ص 174.
- 26- إديث كيزويل، مرجع سابق، ص 226.
- 27- جان بيلمان نويل، (2018)، التحليل النفسي والأدب، تر: حسن المودن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص ص 5-8.
- 28- المرجع نفسه، ص 8.
- 29- المرجع السابق، ص ص 9-10.
- 30- المرجع نفسه، ص 10.
- 31- المرجع نفسه، ص 10.
- 32- المرجع نفسه، ص 11.
- 33- حميد لحميداني، (1991)، النقد النفسي المعاصر: تطبيقاته في مجال السرد، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، ص 34.
- 34- جان بيلمان نويل، مرجع سابق، ص 11.
- 35- المرجع نفسه، ص ص 12-14.

### **قائمة المصادر والمراجع:**

- (1) إديث كريزويل، (1993)، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1.
- (2) جان بيلمان نويل، (2018)، التحليل النفسي والأدب، تر: حسن المودن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- (3) جون ليتشه، (2008)، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
- (4) حميد لحميداني، (1991)، النقد النفسي المعاصر: تطبيقاته في مجال السرد، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1.
- (5) صلاح فضل، (1998)، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1.
- (6) عبد الوهاب جعفر، (1980)، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، دط.
- (7) مالكولم بوي، فرويد وبروست ولاكان، (2009)، قصة نظرية، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1.
- (8) محمد مهران رشوان، (1984)، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط.